الخطاب الاعلامي في زيارة الأربعين بين بلاغة الجمهور وخطاب السلطة

أ.د. كريمة نوماس محمد المدني

كلية التربية للعلوم الإنسانية-جامعة كربلاء

Ali7474@yahoo.com

الملخص

تحاول هذه الدراسة الافادة من مشروع نقدي ــ بلاغي جديد أطلق عليه (بلاغة الجمهور) وهو معني باستجابات الجمهور لنقد السلطة ومعرفة خصائص هذه الاستجابات وعلاقات التفاعل بين الجمهور وخطابات السلطة السياسية والدينية في الفضاء الواقعي والافتراضي وبلاغة الجمهور مبني على مفهوم مؤداه تثوير الخطاب ليكون خطاباً بموازاة خطاب السلطة لنزع اقنعتها وزعزعة هيمنتها لتحقق تلك الجماهير متطلباتها وتستعيد حقوقها المسلوبة، وقد اتخذت تلك الجماهير من زيارة الأربعين سبيلاً لانطلاق ثورتهم وتحقيق مآربهم المشروعة فهي تعني لهم ثورة الحق على الباطل وبلاغة الجمهور تمثل بلاغة ثورية مولدة لإنتاج خطاب ثوري لانتقاد السلطة ، وقد ارتأت الدراسة ان تكون على مدخل معرفي بعنوان (بلاغة الجمهور وخطاب السلطة) اما محاور الدراسة فانبنت على استجابات المجهور المتعددة فتمثل المحور الاول :الاستجابات الآنية المباشرة.

اما المحور الثاني فتمثل بدراسة الاستجابات الآنية غير المباشرة وفي المحور الثالث درست : الاستجابات اللاحقة غير المباشرة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الخطاب الاعلامي، بلاغة الجمهور.

The media discourse on the forty visit between the public eloquence and the authority's discourse

Prof. Dr. Karima Nomas Mohammed Al-Madani

College of Education for Human Sciences - University of Karbala

Abstract

This study tries to benefit from a new critical _ rhetorical project called (the rhetoric of the audience) which is concerned with the responses of the public to criticism of the authority and knowledge of the characteristics of these responses and the interactions between the audience and the discourses of political and religious authority in the real and virtual space and the rhetoric of the public based on the concept of revolutionizing the discourse to be a speech parallel to a speech The power to disguise them and destabilize their hegemony so that these masses can fulfill their requirements and regain their stolen rights. These masses have taken the visit of the forty as a way to launch their revolution and achieve their legitimate goals, as it means for them a revolution of right against falsehood and the rhetoric of the public represents a revolutionary rhetoric generated to produce a revolutionary discourse to criticize the authority. On a knowledge entry entitled (Public Rhetoric and Power Discourse) As for the study axes, it is based on the multiple responses of the public, so it represents the first axis: immediate and direct responses

As for the second axis, it is represented by the study of the immediate, indirect responses, and in the third axis, it is studied: the subsequent indirect responses.

key words: Speech, media discourse, audience eloquence.

المدخل:

أولاً: بلاغة الجمهور تعريفاته وأهدافه

لقد مرت البلاغة العربية منذ تاريخ نشأتها الطويل بمسيرة تاريخية معرفية استحكمت الخطاب (القول) في جميع مراحلها التي مرّت بها، بدءاً من الجذور الأولى للقول البلاغي عند العرب وحتى مراحل تقنينها واستقرار مصطلحاتها، فبرز علماء لهم أثرهم الواضح وبصمتهم البلاغية- النقدية في تاريخ البلاغة، فكان لمؤلفات عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الأثر الكبير في استقرار مصطلحات ومفاهيم بلاغية التي أكدّ فيها على دور المخاطب، ثم أعقبته مرحلة الاستقرار والاجـترار عند السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه المشهور (مفتاح العلوم)[١].

وهناك من يرى أن البلاغة بعد السكاكي وصلت مرحلة الجمود والانحسار التي استبدت بـآراء منطقية، فالمرحلة التي تلتها لـشرّاح المفاتيح التي وُسمت بالتلخيصات لم تقدم إضافة جديدة تُحسب في تاريخ البلاغة، الى أن وصلنا إلى بدايات القرن العشرين حتى بـدأت البلاغة تدخل في مضامين جديدة وتنضوي تحت علوم حديثة، فارتبط مفهومها بمنهج نقدي سُمي بـ(الاسلوبية) ومـرة رُبطت بعلامات سيميائية ومن هنا قادها إلى الوصل مع لسانيات النصّ والحجاج.

هذا ما أطلق عليه بـ(الموضة الأكاديمية) التي تجذب الأبصار وتغوي العقول[٢].

وخلال تلك المداخلات النقدية التي أُدخلت فيها البلاغة، حاول أحدّ النقاد البلاغيين العرب أن يضع البلاغة في دائرة جديدة وسمها بـ(البلاغة العامة)[٣] التي تحتضن مختلف أنواع البلاغات من (القرآنية والأدبية والإنشائية) فأمدتها بآليات الاشتغال مع الحفاظ على خصوصية مقوماتها ومميزاتها، حيث التفاعل التخييل بالتداولي الحجاجي لذا نراه يصرّح بقوله: ((بذل بلاغيون محدثون كبار جهدًا فلسفيًا ومخبريًا ان صّح التعبير، في بيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة بوصفها علمًا كليًا يستوعب ثمار اللسان وعلوم الإنسان))[٤].

ومن هنا، فالناقد محمد العمري يرى أن البلاغة هي العلم الـذي يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر تخييلاً أو تداولاً أو هما معًا، وقولنا تخييلاً أو تداولاً صيغة أخرى لقولنا بمناسبة قراءة التراث، مناسبة أو إغرابا أو هما معًا[٥].

ولذلك أوجد مفاهيم كثيرة ومتعددة تنضوي تحتها البلاغة سمّاها مرة ((البلاغة العامة)) وتارة «النسق المصطلحي» وأخرى ((الخريطة النصّية))[٦].

ومن هذا المنطلق أخذ الباحث الناقد د. عماد عبد اللطيف على عاتقه إيجاد مصطلح بلاغي يشمل بلاغة المخاطب أطلق عليه ((بلاغة الجمهور))[٧] وقصد بها المخاطب ورود أفعالِهِ التي ينتجها المستمع إثناء تلقيه الخطاب الأصلي الذي يستهدف خدمة المتكلم، فهو عنده الخطاب الموازي اللغوي وغير اللغوي الذي ينتجه ويلقيه في وجه المتكلم ليؤثر فيه

ويضطره لتحيين خطابه، ومن ثم الاستماع إلى خطاب مضاد يعكس وجهه السلطوي الخفي أمام ذاته، وفي دائرة محيطة وما يتجاوزها، أي سلطة الخطاب الأصلي الذي تنتجه السلطة الحاكمة في مقابل سلطة الجمهور، وهو بدوره في زمن استجابات يشكل قوة مضادة وبنفس القدر ينتج معان ومواقف وآراء وتوجيهات ويسعى لنشرها وفرضها..[٨].

ويرى د. عماد عبد اللطيف ان مفهوم «بلاغة الجمهور» يمثلُ حقلاً معرفيًا، ينضوي تحته كم هائل من مادة البحث وعددًا لانهائيًا من الموضوعات، تشمل هذه الموضوعات الظواهر المرتبطة بالإقناع والتأثير في الاستجابات التي ينتجها الجمهور في فضاءات مختلفة، فمصطلح «بلاغة الجمهور» هو الحقل المعرفي الذي يدرس العلاقة بين هذه الاستجابات والسلطة والخطاب من ناحية أخرى وتطوير هذه الاستجابات لتكون استجابات بلاغية على تنوع هذه الاستجابات سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، فردية أم اجتماعية مكتوبة أم مسموعة أم مرئية، ويمكن القول ((حيثما وجدت استجابة جماهيرية، وجدت بلاغة الجمهور، بوصفها مادة، وحيثما مارست استجابات الجمهور من منظور الإقناع والتأثير وجدت بلاغة الجمهور بوصفها علمًا))[٩].

وفي هذا الصدد ميّز الدكتور عماد عبد اللطيف بين ثلاثة انواع[١٠] من استجابات الجمهور هي:

(١) الاستجابة الآنية المباشرة.

(٢) الاستجابة الآنية غير مباشرة.

(٣) الاستجابة اللاحقة.

أما الموضوعات التي تُدرس ضمن إِطار بلاغة الجمهور هي[١١].

١. الخصائص اللغوية والبلاغية للخطاب غير السلطوي.
٢. الأغراض التي يسعى الخطاب غير السلطوي لتحقيقها والاستراتيجيات والتقنيات التي يوظفها لتحقيق هذه الأغراض.
٣. أثر نوع الخطاب (ديني- سياسي) والسياق إلذي ينشأ فيه، وطبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب مثل (حاكم، محكوم، واعظ، متدين)
٤. دور المخاطب في عملية الاتصال.
٥. أنواع المخاطب (نصيّ، فعلي).
٦. طبيعة استجابة المخاطب (لفظية- غير لفظية، مباشرة، غير مباشرة).

بعد كل ما عُرض نفهم أن مصطلح "بلاغة الجمهور" يحيلُ على مفاهيم كثيرة، منها ما يشيرُ الى نسق محدد من الأفكار والتصورات والإجراءات التحليلية تشمل مناهج مختلفة منها الأسلوبية والبنيوية التكوينية والمناهج النفسية، أما الرؤية الثانية فتربط في التمييز بين المناهج الكمية والكيفية وهناك مفهوم آخر يتعلق بسؤال الهوية البحتي المرتبط بالمدونة ويستعمل مناهج منها الوصفي والتحليلي والمقارن[١٢].

من هذا كله يخلص الدكتور عماد عبد اللطيف إلى رأي في ماهية مصطلح "بلاغة الجمهور" انها جزء من مشروع بلاغي يهدف إلى تأسيس بلاغة

الحياة اليومية تُعنى بدراسة الأبعاد البلاغية لنصوص البشر العاديين، وكلامهم، واستجاباتهم في شتى مناحي الحياة، فإن هذا المشروع مازال في طور التشكيل وما زال من المبكر جدًا تقييم جدارته بأن يتحول إلى مدرسة بلاغية[١٣].

وهي يعدّها مستوى من مستويات التحليل البلاغي يختصُ بدراسة استجابة الجمهور للخطابات العمومية وهو يشمل:

١. بناء النصّ البلاغي (يشمل دراسة الأصوات والصرف، والتركيب، والمعجم في النص اللغوي) أو الألوان والمنظور والبؤرة في الصورة يضاف إليها الحركة في النصّ المرئي.
٢. مستوى الحجج (تقنيات الحجاج والتنفيذ).
٣. مستوى الصور البلاغية (سواء الصور اللفظية والمرئية).
٤. مستوى السياق (دراسة العلاقة بين تشكيلات الكلام وأدائه من ناحية وسياقه ووظائفه من ناحية أخرى).
٥. مستوى استجابات الجمهور (العلاقة بين بناء والنصّ وأدائه واستجابة الجمهور له).

وبلاغة الجمهور كما ترى الباحثة وهي تشاطر رأي د. صلاح حاوي في أنها إدراك الظواهر البلاغية بوصفها ظواهر مجتمعية تتسم بالتعقيد والتركيب شأنها شأن بقية ظواهر المجتمع[١٤].

فنحن أمام خطابين: خطاب ينتجه المتكلم له مادته ووظيفته، ولذا له بلاغته التي تعينُ هذا المتكلم وتسُهم في إنجاح خطابه وقد أخذت نصيبها من الدرس البلاغي العربي والغربي وهي (البلاغة الإنشائية) بلاغة المتكلم أو المنتج.

وثانيهما: خطاب ينتجه المخاطب فهو ليس خطاب فهم كما تقول بذلك النظريات التأويلية أو خطابًا تعليق... بل هو خطاب مادته الخطابات الجماهيرية وموضوعية دراسة الكيفية التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة لتحقيق الإقناع والتأثير.

أما وظيفته فهي الوعي بمقاومة الخطابات السلطوية وكشف استعمالها اللغة بوصفها أداة.

ثانياً: الخطاب المقروء بين بلاغة الجمهور ونظريات التلقي

تستندُ الوظيفة الشعرية (التواصلية) التي تؤديها العملية التخاطبية على ثلاثة أركان رئيسة هي موضوعة التواصل (المرسل-الرسالة-المرسل إليه) وقد اهتم ياكبسون بعنصر (المرسل إليه) بوصفه العنصر الأساس الذي ترتكز عليه العملية التواصلية وجعل وظيفته (إلافهامية) فهو يرى ((من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية ولكل فعل تواصلي لفظي، ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي، بادئ ذي بدء سياقًا تحيلُ عليه قابلاً لأن يدركه المرسل إليه...))[١٥].

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي أقيمت حول وظيفة المرسل إليه والتسميات التي أُطلقت عليه، فإن وظيفته تمثل محورًا رئيسًا ومركزيًا في الرسالة الشعرية وقد أطلق عليها (القارئ الضمني) عند ايزر او (القارئ الفعلي) عند ياوس[١٦].

وهناك من يرى أن هناك تلاقياً معرفياً بين نظرية التلقي وبلاغة الجمهور في ظل مبدأ (العلة والنتيجة) حيث كلاهما نتيجة وجودهما هي علة (سلطة المنهج المهيمن) أيّ إن سيادة نظرية معينة أو منهج محدد كان سببًا في نشأة هاتين النظريتين ونضوجهما، فتكوينهما ردّ فعلٍ على فعل مهيمن ومتسيّد[١٧].

أما مفهوم الاستجابة عند الجمهور وفي نظرية التلقي هو مفهوم مشترك بين كافة الأطراف في العملية التخاطبية على تنوع واختلاف المسميات انطلاقاً ((من حيث أن العلاقة بين النصّ والمتلقي علاقة تبادل في الأثر والعمل، يؤثر في المتلقي من حيث الاستجابة التي تتشكل بصورة تأويلية مختلفة، ونظرية التلقي هي نظرية فهم وتأويل))[١٨].

أما الاستجابة في «بلاغة الجمهور» فهي استجابة مختلفة تمامًا من حيث صفتها وشكلها وصورها وهي استجابة جماهيرية والمتلقي في دائرة العام، وقد يجعلها استجابة خاضعة ومكرّسة للخطاب البلاغي-السلطوي الذي تنتجه السلطة السياسية أو الدينية ذات القدرة من السيطرة على سلوك الجماهير التي لا تمتلك الوعي الذي يؤهلها لإنتاج خطاب مفكك أو مضاد لخطاب السلطة[١٩].

فبلاغة الجمهور تُعنى بالخطاب واستجاباته وهي فريضة بلاغية في (بلاغة المخاطب) لكنها اكتسبت سمتها الأخرى (الجماهيرية)، لأن مادتها الأساس التي تشتغل عليها هي الخطابات البلاغية الجماهيرية فهي تدرس الأنظمة اللغوية والسيموطيقية المكونة لهذه الخطابات، فضلاً عن السياقات الاجتماعية والسيكولوجية والاقتصادية التي تنتج وتُستهلك فيها هذه الخطابات[٢٠].

وترى الباحثة أن مصطلح «بلاغة الجمهور» مصطلح واسع يشمل مداليل كثيرة وقد لا تكون مستويات المتلقي (الجمهور) ذات ثقافة واحدة، بلا لا شك إنها متباينة تبعًا لأنساقهم الثقافية والإجتماعية وهي متنوعة بصورها قد تكون لفظية أو غير لفظية مثل الكلام المتضاد أو الألفاظ السلبية أو الإيجابية أو مثل التصفيق أو الهتافات، أو صور بصرية مرئية مثل اللافتات أو بطاقات، من جانب آخر، أن مصطلح «بلاغة الجمهور» لا يشمل المتلقي/ النخبة الجماهيرية فحسب وإنما ينضوي تحته كذلك/ المرسل/ الباث/ المُخاطب، إذًا هو لا يشمل الجمهور فحسب، ويمكن القول: انه يدخل ضمنه أيضا الخطاب، لذا أرى ان يسمى(استجابة الفعل التواصلي النخبوي)، او استجابة الجمهور، والخطاطة الاتية هي توضيح لما تقدم:

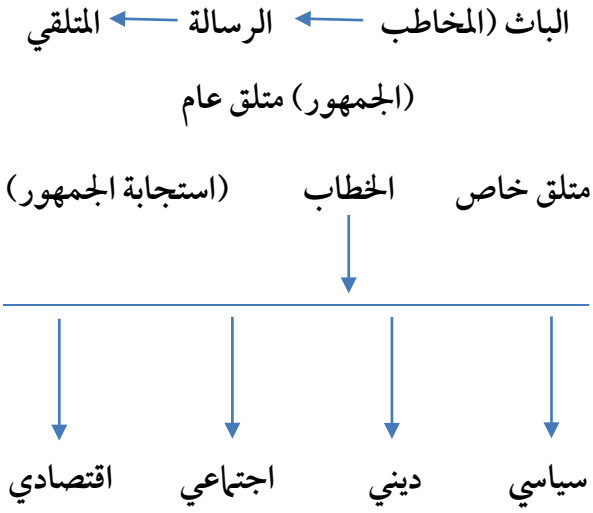

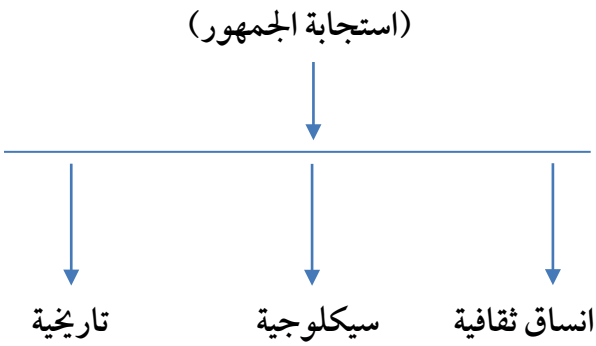

وبهذا شكل مشروع بلاغة الخطاب/ الجمهور في الثقافة العربية المعاصرة ربطًا للدرس البلاغي بمفهومه الحيّ بخطابات الحياة اليومية، أي البحث في آليات الإقناع والتأثير في الخطاب الطبيعي القائم على الاحتمال، اعتمادًا على اجتهادات سخرت جهدها لتعبيد الطريق أمام البلاغة بربطها بهجوم الإنساني وتحليل الخطاب بمختلف أنماطه السياسي او السردي والشعري[٢١].

المحور الاول: الاستجابات الآنية (المباشرة)

وهي تعد أهم استجابات الجماهير التي تنطلق مباشرة أثناء الحدث وهي بمثابة ردة فعل تعبر عن إرادة ذلك الجمهور وتشمل مختلف المواقف والانفعالات مثل الصراخ والهتاف والمقاطعة والتصفيق وما إلى ذلك من محتمل الاستجابات التي تولد في رحم السياق الأصلي.

وتسعى هذه الاستجابات الى بيان العلاقة بين الجمهور والسلطة ومدى التأثير الذي تحدثه الخطابات السلطوية السياسية ومدى درجة الإقناع والخضوع أو التمرد والخروج الذي يمارسه الجمهور عبر الخطاب المضاد.

وتمثل زيارة الأربعين بمارثونيتها العظيمة استجابة جماهيرية لرد الظلم والوقوف بوجه السلطة السالبة لحقوق ومطاليب ذلك الجمهور، وهي لذلك تكون استجابات انفعالية تتصل بأفعال وأقوال وشعارات ورفع صور إعلامية مثيرة، ولذا سميت ببلاغة الجمهور أو ثورية الجمهور وتمثل أيضا زيارة الأربعين منفذا ومنطلقا للتعبير عن حريات وحقوق الإنسانية المسلوبة من قبل الحكومات فهي إطلاق شكوى جماهيرية عالمية يستمع فيها العالم لتلك المظلوميات، ومن هنا مثلت زيارة الأربعين المسار الصحيح لانطلاق ثورات جماهيرية.

وتهتم بلاغة الجمهور بأنواع متعددة من الخطابات لإقناع الطرف الآخر المتمثل بالسلطة عبر تلك الشعارات والهتافات، ومن هنا فأن غاية بلاغة الجمهور ((إمداد الانسان العادي الذي يشكل اللبنة الأساسية للجمهور بمعرفة تمكنه في حال تعرضه لخطاب ما من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب ومبالغاته ومغالطاته،ومفارقاته للواقع وتناقضاته الداخلية والأغراض التي يسعى لانجازها))[٢٢].

وتشمل الاستجابات أنواعا متعددة منها مايطلق عليه بـ (بلاغة السلطة) وهي: بلاغة تروم التحكم في الحيز البلاغي والتحكم في فضاء الخطاب وبالتالي توظيف استعارات ومجازات تمجد السلطة ودورها في حماية البلاد ولها إيقوناتها وتسمياتها[٢٣].

وهي تعد استجابات منسجمة مع نوع فئة تمثل جانباً سلطوياً يسعى لنشر العدالة والمطالبة بالحقوق الإنسانية وإشاعة الأمن والاستقرار في البلاد وهناك

نوع من الاستجابة في بلاغة الجمهور هي استجابة مختلفة تماماً من حيث صفتها وشكلها وصورها وهي استجابة جماهيرية تضع المتلقي في دائرة العام وبعضها تكون خاضعة ومكرسة للخطاب البلاغي السلطوي الذي تنتجه السلطة السياسية أو الدينية وهي ذات قدرة في السيطرة على سلوك الجماهير التي لا تمتلك الوعي الذي يؤهلها لإنتاج خطاب مفكك أو مضاد لخطاب السلطة.

وهذه الاستجابات تكون على أنواع:

فنشاهد مثل هذه الشعارات تتردد كثيراً في زيارة الأربعين وتكون متنوعة في مطالبها فمن تلك المطالب هو شعور الشعب بضرر تدخل الدول وتمثل نقد استجابة الجمهور بتلك الشعارات واللافتات المرفوعة.

ومن أمثلة الشعارات المرفوعة أيضاً بيد الجماهير

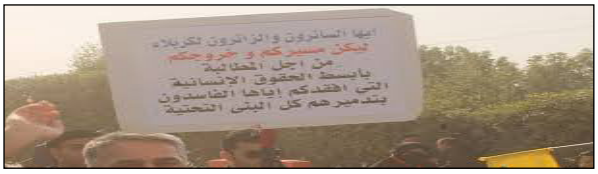

هذه تمثل إحدى الشعارات التي رفعت بيد الجماهير القادمة لكربلاء والتي عدت زيارة الحسين عليه السلام في ذكرى أربعينيته في كل عام منفذاً وطريقاً للمطالبة بحقوقهم المسلوبة اتجاه الحكومة التي لم تحقق أبسط تلك المطالب.

وتزداد حماسية تلك الشعارات حين يصرح بعضها بفساد أعمال تلك الحكومة وضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي خرج لأجلها الحسين عليه السلام واستشهد ثائراً هو وأهل بيته وأصحابه بوجه الطغاة من أجل كلمة الحق ودحض الباطل والفساد.

وهكذا تحمل هذه الشعارات معان عميقة للوقوف بوجه الباطل والمطالبة المشروعة بحقوق هؤلاء الجماهير المليونية القادمة لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام فصوت الحسين هو صوت الحق والوقوف بوجه الفساد وها هو صوت الجماهير المستمد من ثورة الحسين عليه السلام.

ونجد بعض هذه الشعارات العاشورائية تكتب باللغة الشعبية الدارجة وتهتف بأصوات جماهيرية حاشدة وتهتف في حضرة الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام هذه اللافتة التي تحمل شعاراً جماهيرياً واضحاً ومصرحاً به في تبديل الوضع السياسي الذي نعيشه والثورة بوجه الفساد والسراق،هو هذا شأن ثورة الإمام الحسين وهو هذا هدفه الإصلاح وعدم السكوت بوجه الفساد، وهذا يمثل استجابة جماهيرية واسعة النطاق لمفهوم زيارة الأربعين وإحياء المواسم العاشورائية.

صرخة جماهيرية ذات سياقات سياسية لرد الرد خطاب السلطة حين طالبت بأصوات هؤلاء الجماهير لوصولها لتحقيق مآربها السياسية والدنيوية ومن ثم عدم الإيفاء بوعودهم بعد حصولهم على تلك الأصوات، هكذا شعار يمثل استجابة جماهيرية سلطوية فعالة تجاه كل ما تلقاه من عدم تنفيذ المطالب بعد أخذهم تلك الأصوات الجماهيرية وهو يعد مقاومة بخطابات السلطة المضللة والذي يسمى (عصر استجابة الجماهير)[٢٤].

ومن أمثلة تلك الهتافات وحمل الشعارات أيضا مانجده:

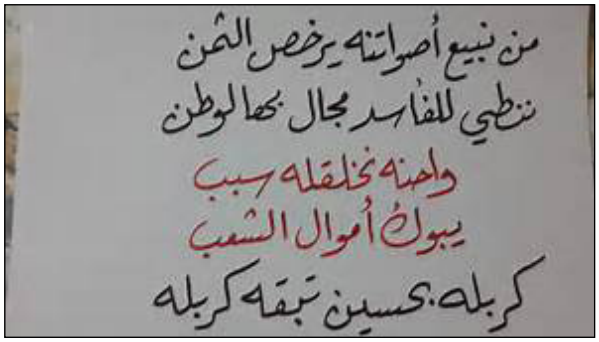

ومن هذه أنواع اللافتات التي رفعت هي المطالبة بعد قطع البطاقة التموينية التي تمثل معيشة أغلب العوائل العراقية عليها. فهذه الهتافات تمثل استجابة إيقونات لغوية على الخطاب السياسي وجزء من مجابهة السلطة

ومن هذا المنطلق وعبر تلك الصور الجماهيرية التي مثلت استجابات آنية – مباشرة متخذة من مناسبة ذكرى أربعينية الإمام الحسين فرصة وطريقا مشروعا للمطالبة بحقوقها المأخوذة وهي كلها مطالب حقيقية تعكس حرمان الشعب العراقي من أبسط حقوقه.

وبما أن بلاغة الجمهور هي بلاغة خاصة بدراسة استجابة الجمهور وتفاعله بما ينتجه صناع السلطة ومدبريها، وطرق تعاملهم مع وسائل الاتصال الجماهيرية المستحدثة فهي وليدة الثورة التكنولوجية

الرهيبة التي حققها العالم الرأسمالي المعولم، حيث صارت (ثقافة الصورة هي ثقافة الجمهور، او العمود الفقري للثقافة الجماهيرية، كما أنها ثقافة الوجدان والانفعال والغرائز)[٢٥].

الشيء الذي أتاح لفئة عريضة من الجماهير الشعبية والمثقفة المشاركة في الشأن العام والمساهمة في رسم ملامح السياسات العامة فأصبحت آراؤهم في زيارة الاربعينية تمثل صوت من لا صوت له في أجواء تنامي المطالبة بالديمقراطية وحقوق الانسان وانفجار المجال الإعلامي الذي غمر الساحة بالصورة والصوت.

المحور الثاني: استجابات آنية (غير مباشرة)

وتتجلى فيما يعقب الخطاب ونوع الاستجابة له وتتجسد في أمور عدة مثل روابط اليوتيوب، وتغريدات على التويتر، أو تعليقات على شرط التلفاز أو تعليقات على الفيس بوك وشبكات التواصل الاجتماعي الأخرى[٢٦].

وهذا ما يعكس درجة تأثرهم بالخطاب وتفاعلهم به، مما يؤدي إلى إنتاج خطاب مواز، وأي شكل من أشكال الاستجابة اللغوية وغير اللغوية التي ينتجها استجابة للحدث[٢٧].

ومن تلك الأشكال اللغوية التي رصدها البحث مقالاً نشر على الفيس بوك بعنوان (زيارة الأربعين والخطاب الوحدوي الحضاري) للكاتب حميد حلمي زاده.

الثلاثاء ١٥-نوفمبر- ٢٠١٩

اذ جاء فيه:

تختزن زيارة الاربعين لمرقد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام زخماً هائلاً من المعطيات والمكاسب وهي تتبدى في كل عام بأشكال جديدة تبعث الثقة بأن ممارسة هذه الشعيرة أخذت تنعكس ايجابياً على المناخ السياسي والعقائدي والاجتماعي للشعب العراقي المؤمن من جهة، وعلى مصداقية مدرسة آل البيت النبوي الشريف عليهم السلام من جهة أخرى، وعلى تحسن نظرة الرأي العام العالمي إلى الجهتين الآنفتي الذكر على صعيد متصل، والمهم أن زيارة الأربعين سميت كذلك بمناسبة مرور أربعين يوماً على ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره والمصادف في العشرين من شهر صفر والتي تطورت منطلقاتها من دول بعيدة جغرافياً وصولاً إلى بلد المراسم وهو العراق واجتماعاً في مقصد الزائرين مدينة كربلاء المقدسة فهذا الأمر اخذ يعبر عن يقينية الوعي الجماهيري بأهمية هذه الممارسة في إطلاق الطاقات المعنوية الكامنة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية وحتى في نفوس أتباع الديانات السماوية وأحرار العالم، ووجوب حشدها باتجاه توطين العلاقات البينية الإنسانية، وبما يؤسس لاحقاً لتشكيل جبهة أخلاقية منسجمة ومتفاهمة، تحمل على عاتقها التصدي لدعايات الزيف والخداع الناقمة، التي تعمل منذ فترة طويلة على تلفيق التهم والاباطيل والاكاذيب للمسلمين والموحدين عموماً.

فالمؤكد ان زيارة الاربعين وبما تنضوي عليه من

الفضائل والبركات والإلهامات الإيمانية والنفسانية السليمة تحولت خلال الأعوام القليلة الماضية إلى ملحمة جماهيرية عملاقة يفوق عدد المشاركين فيها الى ٢٥ مليوناً من داخل العراق وخارجه ويبدو ان ما يثير اهتمام المراقبين الدوليين والإقليميين، هو مدى الإلتزام الطوعي لملايين الزائرين بالنظام والتآخي والتلاحم والهدوء والسكينة من جانب، ومن جانب اخر انبراء أبناء الشعب العراقي الكريم لخدمة هؤلاء الزوار إنها خدمات تفوق درجات التصور العقلية كافة على مستوى تأمين احتياجاتهم الغذائية والصحية والسكنية مما لا تعد ولا تحصى.

بيد أن المحصلة الأمضى للمشاركين في مسيرات الأربعينية زوار ومحتفين، هو تحول هذه المراسم حالة من الاستفتاء الشعبي العام لفائدة الوحدة والتكاتف والتراحم والتعاون على البر والتقوى ولمقارعة زعماء الاستكبار الامريكي - الاسرائيلي - وحروبهم وفتنهم وصنائعهم ومرتزقتهم من التكفيريين والدواعش ومن هم على شاكلتهم الذين حولوا العالم الإسلامي إلى جحيم لا يطاق.

والمقال الآخر على موقع الحوار المتمدن-نادية محمود ٧-١٢-٢٠١٤:

(زيارة الاربعين طقس ديني أم عمل سياسي صرف)

تدور فكرة المقال حول السؤال الذي وضعته الكاتبة عنواناً لمقالتها هل أن زيارة الاربعين طقس ديني؟ أم عمل سياسي؟ ام انه احدهما يغذي الآخر؟

وحاولت الكاتبة الإجابة عنه:

يقول البعض إن إقامة مراسيم زيارة الأربعين هي عمل طوعي يمارسه المسلمون الشيعة. وإنهم ينظمونه سواء بوجود دولة أو عدم وجودها وان الأمر لا صلة له بالدولة ولا ينضوي على أي هدف سياسي، الا أن إلقاء نظرة متفحصة لأمر زيارة الأربعين ومراسيم عاشوراء بشكل عام وما تعنيه بالنسبة للدولة في العراق، يفصح عن ما هو سياسي بالأساس.

ان هذه التطوعية وهذه (الجماهيرية) للانخراط في ممارسة هذا الطقس الديني التي تناهز بضعة ملايين في العراق تجري وتتم في مسار سياسي محدد: مسار تثبيت الهوية الشيعية في العراق والمجتمع في العراق والتي تهدف إليها الأحزاب السياسية الشيعية في العراق والمؤسسة الدينية الشيعية على حد سواء، حيث تشكل تأدية هذه الطقوس معلماً أساسياً وحاسماً من معالم هذه الهوية.

إن الخطاب الشيعي - السياسي الفكري يستند على مظلومية الشيعة كمكون أساسي من ايديولوجيتها وخطابها السياسي الشيعي التعبوي للناس. إن سير الملايين على الأقدام للوصول الى الإمام وتأدية طقوس عاشوراء تشكل فرصة قل نظيرها لتشكيل أذهان الناس وصياغة وعيهم وتوجيهه كشيعة.

ان زيارة الأربعين ومراسيم عاشوراء هو فرصة تعبوية هائلة لتبيت الهوية الشيعية للدولة والمجتمع في العراق، التسويق الإعلامي وتركيز الخطاب على مظلومية الشيعة، أمر لا يتعلق بأحداث حدثت عام ٦٨٠ ميلادية، بل له صلة وثيقة بصراع اليوم، إن هذه المظلومية هي خطاب سياسي بالدرجة الأساس، فأن

مجمل الصراع الشيعي - السني هو صراع حول السلطة وان إحياء هذه المناسبة يعيد تقديم التاريخ من جديد كل عام وان معركة الطف انما تجري الان وان الضحايا تنتظر نصرتهم اليوم.

وهي أمر لا يتعلق بالدولة اليوم، بل بوضع الدولة غداً، أن تقوم المدارس الثانوية لطلاب لم يبلغوا سن الرشد بتنظيم المواكب او الذهاب كمشاية الى كربلاء، انما يعكس حقيقة واحدة انه يجري تأهيل وبرمجة الأجيال الشيعية القادمة من اليوم الطقوس الدينية وهو أمر في جوهره سياسي صرف.

ان نقطة مناقشتي هي ان مراسيم عاشوراء والزيارة الاربعينية حدث سياسي مهم للحكومة والأحزاب الشيعية والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق، لأنه يوفر فرصة لتأكيد ولتثبيت الهوية الشيعية للمجتمع، الأمر الذي تتغذى عليه الأحزاب الشيعية وتستمد شرعيتها لوجودها كدولة.

نشاهد مثل هذه الاستجابة المغرضة التي نشرتها شبكات التواصل إنما هي لغايات طائفية وتأجيج الفتنة المغرضة لإشاعة مثل هذه الأفكار المسمومة والجواب لمثل هذه المقالات الفيسبوكية، نقول أن زيارة الأربعين هي ليست زيارة شيعية فحسب أو تقتصر على الشيعة، بل يشارك فيها الآلاف والملايين من غير الدولة العربية والذين يحملون القوميات المسيحية والايزيدية والتركمانية والباكستانية وغيرها وكذلك هناك زوار ملايين هم من الطائفة السنية ومن مختلف الدولة حتى من الصين وكوريا والهند والمانيا وفرنسا ولندن.

اذاً قضية الثورة الحسينية قضية عالمية وإيقونة ثورية لرفع السيف بوجه الباطل والفساد وليس قضية شعبية منحصرة في فئة معينة أو طائفة معينة.

التغريدات على مواقع التويتر:

ومن أمثلة التغريدات التي مثلت استجابات الجماهير ما استطعت الحصول عليه، لشخص مسيحي يدعى (الأب مالخارسونعيولا شفيلي) أحد قساوسة جورجيا اذ غرد في زيارة الأربعين قائلاً:

((حضرت الى كربلاء لتقبيل التراب المقدس وأنا على قناعة مطلقة أن ذبيح الفرات الذي ذكر في الإنجيل هو الامام الحسين عليه السلام وقد صليت للناس جميعاً لأني وجدت المكان ملهماً ومشجعاً لي)).

ومن تغريدات أخرى من بلد آخر من اليمن غردت الزائرة وسن الشيخلي:

صدق أو لا تصدق لقد شاركت في مرثون زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام من بغداد إلى كربلاء لأول مرة في حياتي وهو شعور لا يوصف.

د. حيدر اللواتي من عمان إذ غرد قائلاً:

رفع الله مقامكم ومراتبكم في الدنيا والآخرة يا أهل العراق كما ترفعون راية آل محمد في الأربعين وفي غير الأربعين.. لو نكتب في حق شعب العراق آلاف التغريدات ما أدينا جزءاً من حق الشكر والعرفان لتفانيه في احتفائه بزوار آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يكفيهم فخراً أن الله استودعهم أنواره الطاهرة.

ومن التغريدات أيضاً ما كتبه محمد الوادي:

يا أهل العراق افتخروا بهذه المنزلة للزيارة الأربعينية الحسينية على مستوى العالم حيث تتفوق حتى على حركة ومجموع الحجاج.

نشاهد كل هذه التغريدات على روابط التويتر تمثل استجابات جماهيرية متنوعة بتنوع جنسياتهم التي يحملونها وهي تمثل دوراً جماهيرياً حاسماً استطاع إنتاجها في سياق التفاعل غير المباشر بعد زيارة الأربعين، فيمثل هذا الحدث الخطابي ممارسة اجتماعية ذو تأثيرات إيديولوجية مهمة.

ومن أمثلة المقالات المنشورة على قنوات العالم الفضائية بمناسبة زيارة الأربعين والتي تمثل استجابة جماهيرية عربية ما كتبه الباحث الإسلامي عطا الله جعفر من بيروت جاء بعنوان:

زيارة الأربعين هي تأكيد على أن أي قوة من قوى الأرض لن تطغى شمس ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

فثورة الإمام الحسين عليه السلام تبقى منبعاً دفاقاً لا يعرف الجفاف ويشحن الأمة بروح التغيير، فالإمام الحسين عليه السلام مصلحٌ في الناس يصلح إسلامهم ويرسخ ويفعل إيمانهم ويدفع باردتهم على طريق الخير، ولذلك زيارة الاربعين لسيد شهداء أهل الجنة عليه السلام هي تأكيد الدائم على الولاء للمسيرة الحسينية وصرخة مدوية ضد الظالمين وتجديد البيعة للامام الحسين عليه السلام.

ما الدروس المستفادة من زيارة الاربعين؟

١. صحيفة الاندبندت البريطانية تصف زيارة الاربعين بأنها أعظم واكبر تجمع ديني في العالم.
٢. تقول الصحيفة البريطانية اذا اردت ان تتعرف على الاسم الحقيقي فعليك بزيارة الأربعين، فأنها منابة القيم والمبادئ.
٣. الزحف المليوني الاصرار على التوجه الى كربلاء لأداء مراسم زيارة الأربعين على الرغم ما يتعرض له الزائرون من العذاب أثناء السير الى كربلاء ناهيك عن أساليب القتل والتفجير التي يلاقيها الزائرون.
٤. زيارة الاربعين بناء المثل الأعلى للفرد المسلم والممثل بالامام الحسين عليه السلام، كي يكون ضميراً داخل أي مسلم تجرفه الأهواء والدنيا وحبها.

الخاتمة

١. يمثل مصطلح (بلاغة الجمهور) ردة فعل جماهيرية واستجابة ثورية لخطاب السلطة المضاد وتتنوع هذه الاستجابات كل حسب طريقة وسلوك الاستجابة فقد تكون عبارة عن هتافات وشعارات وصراخ وتسمى بالاستجابات الانية (المباشرة) أو تكون آنية غير مباشرة مثل المواقع الشبكات التواصل مثل النشر على صفحات العيس بوم والتغريدات على مواقع التويتر وقنوات التلغرام.
٢. مثلت زيارة الاربعين حدثاً عالمياً واستجابة جماهيرية واسعة المدى ومنفذا وطريقا للمطالبة بحقوق الإنسانية المسلوبة من قبل السلطة.
٣. تهتم بلاغة الجمهور بالخطاب غير النخبوي أو المركزي فهي تهتم بدراسة الخطابات الشعبية

الجماهيرية على تنوع ثقافاتهم وانتماءاتهم ولذلك تكون زيارة الاربعين الارضية الميدانية الواقعية لتحرك الاستجابات الملموسة في موسم الزيارة العاشورائية – الاربعينية.

٤. تمثل زيارة الاربعين حدثا ثوريا متجدداً وممتداً بخط سماوي لتعديل مسيرة الخط السماوي الذي دنسه الطغاة الامويين بقتل الإمام الحسين سبط الرسول الاعظم وتوليهم الخلافة الاسلامية، ان فالزيارة الأربعينية بإحيائها بتلك الشعارات والهتافات والحزن هو يمثل استجابات وإيقونات جماهيرية ذات وعي يقيني بقضية الثورة الحسينية وامتدادها الزمني.

٥. ان تلك الاستجابات على تنوع صورها ومدياتها يمثل هوية معرفية ويقينية مشكلة بايقونات متنوعة وموجهة بانتقادات كبيرة ومحفزة للثورات لتحقيق مطالبهم المشروعة عبر تلك الزيارة الذكرى الاربعينية للامام الحسين عليه السلام.

الهوامش

(١) البلاغة الشعرية (الأصول والامتدادات): د. محمد العمري، ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس (مشروع قراءة) حمادي حمود، ٨٨.

(٢) ينظر مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر (مقاربة نقدية): ٢٤٨.

(٣) ينظر: البلاغة العامة/ النسق المصطلحي والخريطة النصية، محمد العميري: ١٨.

(٤) ينظر: البلاغة الجديدة: محمد العميري: ٢١.

(٥) البلاغة العامة، الجديدة النسق المصطلحي والخريطة النصية: ١٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٨-١٩.

(٧) بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات: ٦٠.

(٨) ينظر: في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة (بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف أنموذجًا، د. ادريس جبري، ٦٠.

(٩) ينظر: ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية الاسهام، الهوية المعرفية، النقد، د. عماد عبد اللطيف.

(١٠) كيف ندرس التناص، عماد عبد اللطيف: ٢٨١.

(١١) ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية:عماد عبداللطيف:٣٢

(١٢) ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية، الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، د. عماد عبد اللطيف: ٧٢.

(١٣) ينظر: ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، عماد عبد اللطيف: ٣١.

(١٤) ينظر الخطاب الانتخابي في العراق (بلاغة السلطة واستجابة الجمهور): د. صلاح حاوي مجلة آداب/ البصرة/ العدد ٨٥، ٢٠١٨، ١٢٤.

(١٥) فيري ياكوبسن: أنَ لكل فعل تواصلي من هذه الأركان الرئيسة وظيفة أساسية هي (المرسل (الانفعالية) الرسالة (الشعرية) المرسل اليه (الوظيفة الافهامية)، ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧، الشعرية والتواصل اللساني:

(١٦) ينظر الأصول المعرفية النظرية التلقي: ناظم عوده: ١٢٣.

(١٧) ينظر بلاغة الجمهور ونظريات التواصل (نظرية التلقي) انموذج التلاقي والاختلاف، د. صلاح حسن

حاوي: ١٠٥.

(١٨) الأصول المعرفية لنظرية التلقي: ناظم عودة: ١٢٣.

(١٩) ينظر بلاغة الحرية: د. عماد عبد اللطيف: ٣١.

(٢٠) ينظر بلاغة المخاطب: د. عماد عبد اللطيف: ١٩ - ٢٠.

(٢١) ينظر بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا: عبد الوهاب صديقي: ١٢٢.

(٢٢) بلاغة الجمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي دراسة في خصائص الاستجابات وآلياتها: ضياء الدين محمد:٢٠٨.

(٢٣) بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا،عبد الوهاب صديقي: ١١٨.

(٢٤) ينظر بلاغة الحرية: عماد عبد اللطيف،٦١.

(٢٥) بلاغة الجمهور:٦٢.

(٢٦) ينظر: في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة: د.ادريس جبري: ٦٦.

(٢٧) المصدر نفسه:٦٦.

المصادر والمراجع

١. الأصول المعرفية النظرية التلقي: ناظم عوده خضر، دار الشروق، ط١، ١٩٩٧

٢. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: محمد العمري: دار أفريقيا، الشرق، البيضاء، ط، ٢٠٠٥.

٣. بلاغة الجمهور-مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم د. صلاح حسن حاوي د عبد الوهاب صديقي، ط١، ٢٠١٧.

٤. بلاغة الجمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي دراسة في خصائص الاستجابات وآلياتها: ضياء الدين محمد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم د. عماد عبد اللطيف د. عبد الوهاب صديقي

٥. بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني-خطاب الفتوى انموذجاً-حامدة تقبايت ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات.

٦. بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، عبد الوهاب صديقي ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي د. عبد الوهاب صديقي

٧. بلاغة الجمهور ونظريات التواصل (نظرية التلقي) انموذج التلاقي والاختلاف، د. صلاح حسن حاوي، ضمن كتاب (بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات) تحرير وتقديم: د. صلاح حسن حاوي- عبد الوهاب صديقي.

٨. بلاغة الحرية: د. عماد عبد اللطيف:(معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة) دار التنوير-بيروت، ط١،٢٠١٢.

٩. البلاغة العامة، الجديدة النسق المصطلحي والخريطة النصوص، محمد العمري، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد ٩،٢٠١٦.

١٠. البلاغة العربية (الأصول والامتدادات): د. محمد العمري، ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس (مشروع قراءة) حمادي حمود، ٨٨.

١١. بلاغة المخاطب: د. عماد عبد اللطيف، (البلاغة العربية من أنتاج الخطاب السلطوي الى مقاومته)، منشورات جامعة القاهرة،٢٠٠٥.

١٢. الخطاب الانتخابي في العراق (بلاغة السلطة

واستجابة الجمهور): د. صلاح حاوي مجلة آداب/ البصرة/ العدد ٨٥، ٢٠١٨، ١٢٤.

١٣. في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة (بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف إنموذجًا، د. ادريس جبري،

١٤. قضايا الشعرية:، رومان ياكوبسن، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر،ط١، ١٩٨٨

١٥. كيف ندرس التناص؟ عماد عبد اللطيف، اطار نظري وتطبيقات على بلاغة السياسة الدينية ضمن كتاب جماعي (بلاغة الخطاب الديني اعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات ضفاف، بيروت ومنشوراتا الاختلاف الجزائر، دار الأمان الرباط،ط١، ٢٠١٥.

١٦. ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية الاسهام، الهوية المعرفية، النقد، د. عماد عبد اللطيف. ضمن كتاب (بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات) تحرير صلاح حسن حاوي،د. عبد الوهاب صديقي.

١٧. مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر (مقاربة نقدية)، د. عماد عبد اللطيف، كتاب المؤتمر، الندوة الدولية، ط١، ٢٠١٥.

١٨. نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة، د. عماد عبد اللطيف، دراسة في مشروع البلاغة النقدية، مجلة نزوى، العدد ٦٦، أبريل ٢٠١١.